البنـــاء
السنة الثامنة / الجمعة / 13 أيار 2016 / العدد 2076
Eighth year / Friday / 13 May 2016 / Issue No. 2076

ناصر قنديل

بالمختصر المفيد نستهلّ «حديث الجمعة» لهذا الأسبوع، مسلّطين الضوء على مقارنة بين الماضي والحاضر، وكيف خسرت أميركا رهاناتها على توريط باكستان والعراق في حروب ضدّ روسيا وإيران. وبعد «صباحات» و«قالت له» و«رياضيات في الكلام»، تأتينا المشاركات من أصدقاء الصفحة وصديقاتها، شعراً ونثراً وبوحاً وألماً وحبّاً.

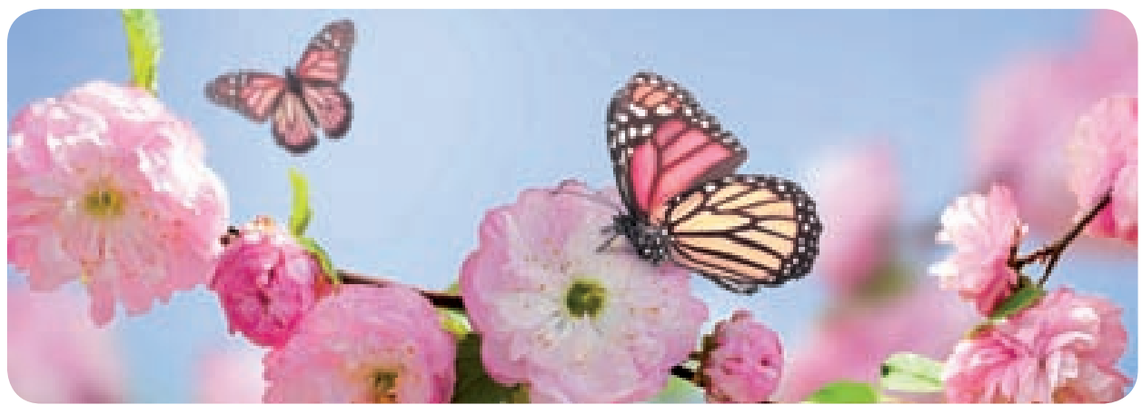

مختصر مفيد *

تركيا... باكستان جديدة أم عراق آخر؟

● شكّلت باكستان خلال سبعينيات القرن الماضي دولة آسيوية صاعدة، سواء بحجم التنوّع السياسي الذي حملته تجاربها الانتخابية، والتناوب على السلطة بين أحزابها، أو بحجم تقدّمها في مجال امتلاك مصادر القوّة، وصولاً إلى التحوّل لأوّل دولة إسلامية تملك سلاحاً نووياً. وصارت باكستان الدولة الإسلامية التي لا يمكن تجاهلها في الخيارات والتحالفات في آسيا، وصولاً إلى شواطئ البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. بالمقابل، شكّل العراق الدولة العربية الصاعدة صناعياً وعسكرياً وتسليحاً، رغم الطابع الأحاديّ الاستبداديّ لنظام الحكم فيه. والعراق دولة ذات وزن سكانيّ وديمغرافيّ، ما يمنحها فرصة لعب دور وازن في الشرق الأوسط، مع قدرة نفطية هائلة وموقع جغرافيّ حسّاس، فيصير العراق مؤهّلاً للتأثير بموازين استراتيجية في الشرق الأوسط. وفي باكستان والعراق توفّرت قيادة سياسية طموحة ومستعدّة للمضي في توظيف القدرات والمكانة لتعظيم الدور.

● حدث عام 1979 ما قال للأميركيين إنّ التقدّم السوفياتي في أفغانستان وانتصار الثورة الإيرانية، سيوفّران الفرصة التاريخية لتلاقي مثلث آسيوي خطير جغرافياً واستراتيجياً عبر البرّ الأفغاني: روسيا وإيران والصين. فقرّرت تطويق هذا التحوّل، واحتواء هذا الخطر عبر ثنائيّ باكستان ـ العراق، ودائماً عبر دور مميّز للسعودية كمركز ماليّ للحروب السرّية للاستخبارات الأميركية، وكقاعدة يعتمد عليها في تنشئة فكر دينيّ متطرّف يمكن استخدامه بصورة عمياء في الحروب. وشُكّلت من باكستان قاعدة تحضير حرب «المجاهدين» ضدّ الاتحاد السوفياتي «الشيوعي» برعاية سعودية ـ أميركية مشتركة، كما يكشف مستشار الأمن القومي الأميركي زبيغنيو بريجنسكي عن مغزى لقاءاته عام 1980 بمشاركة بندر بن سلطان وأسامة بن لادن لتأسيس تنظيم «حركة المجاهدين»، الذي صار لاحقاً تنظيم «القاعدة». وعلى ضفّة موازية، دُفع العراق باحتواء وتمويل سعوديَّيْن وتشجيع أميركيّ، ليخوض حرباً ضدّ إيران استنزفت قدرات العراق وإيران معاً لعشر سنوات لاحقة.

● نجحت الخطّة في أفغانستان وتلقّي السوفيات ضربات موجعة انتهت بقرار سحب القوات. وكان لتداعياتها دور في التأسيس لتفكك الاتحاد السوفياتي وانهياره. كما نجحت الخطة في استنزاف إيران، واضطرت لقبول القرار 598 الذي وصف الإمام الخميني القبول به كتجرّع السمّ. لكن الحصيلة كانت أنّ باكستان انتهت كدولة، وأن العراق انتهى ككيان ودولة. وتفشّت تنظيمات مشابهة لـ«القاعدة» وتابعة لها في باكستان، وتمدّد النفوذ الاستخباري الأميركي بداعي ضرورات الحرب في باكستان، ولعبت واشنطن بطبقتها السياسية وتناقضاتها كما أرادت اعتقالات واغتيالات وإعدامات وانقلابات. فلم يتبقَّ من باكستان إلا هيكل دولة تنخرها الأزمات، وتعيش على رصيف السياسة الدولية والإقليمية، وتنتظر الهبات السعودية. ودخل العراق بالمقابل في مغامرات تلو مغامرات، وكان التشجيع الأميركي لحكّامه لغزو الكويت تمهيداً لحرب تدحرجت لأكثر من عقد، حتى انتهت باحتلاله وضرب مقوّماته كدولة ونسيج اجتماعيّ وكيان سياسيّ.

● بعد عشرين سنة على «النصر الأميركي» في تفجير حرب العراق ضدّ إيران، وعشر سنوات على نهايتها، وبلوغ عام 2000، تنفّست إيران بانتصار المقاومة في جنوب لبنان، وتلمّست طريق النهوض والبناء. وكان العراق يغرق تدريجياً وصولاً إلى خطر التلاشي بعد عشر سنوات لاحقة. وبعد عشرين سنة على «النصر الأميركي» في تفجير الحرب الجديدة في وجه السوفيات في أفغانستان، وعشر سنوات على نهايتها وبلوغ عام 2000، كانت روسيا تخوض تجربة نهوضها مجدّداً مع وصول الرئيس فلاديمير بوتين إلى الكرملين. وكانت أميركا تستعدّ لحروبها الجديدة مع المحافظين الجدد ورئيسها الجديد جورج بوش الإبن. وخلال عشر سنوات، خسرت واشنطن حروبها، بينما بلغت كل من روسيا وإيران مع عام 2010 مرحلة لم يعد ممكناً تجاهل قدراتها. وواشنطن تجد نفسها ملزمة بالانسحاب من العراق وأفغانستان، وتخشى مجدّداً التلاقي البرّي لعمالقة آسيا: روسيا وإيران والصين.

● الحرب على سورية كانت الردّ الأميركي على الخطر لإقفال البحر المتوسط أمام الثلاثيّ الروسيّ الإيرانيّ الصينيّ، عبر إمساك النافذة السورية. وكان في تركيا نجم صاعد يشبه حال باكستان والعراق قبل ثلاثة عقود. فمنذ عام 2000، بدا طيب أردوغان مشروعاً يصلح لتخديم السياسات الأميركية المغامرة بطموحات وأوهام إمبراطورية عثمانية يسهل إغراؤها واستنهاضها. ومنذ خمس سنوات، تُلعب تركيا لعبة باكستان والعراق معاً في الثمانينيات، ولا يبدو أن مصير تركيا سيكون مختلفاً عمّا حلّ بالعراق وباكستان معاً...

ناصر قنديل

*ينشر هذا المقال بالتزامن مع الزميلتين «الشروق» التونسية و«الثورة» السورية.

صباحات

● إذا أطلّ الصباح وشعاع ضوء يقدح بشراراته ظلمة ما بين وريقات الياسمين فيحيلها شفافة رقراقة كنهر جارٍ، وتفاعل مع نسيج محملها الناعم المخفيّ، وفاح منه عطر وجذب إليها نحلة تتراقص علىً أنغام الضوء المتثاءب مع خيوطه الأولى، وبعضاً من نسيم بارد، وصوت فيروز يشقّ سكون الكون، ورائحة بنّ وهال، وأنت تشعر بالكرامة والعزّة. فذلك صباحك الدمشقيّ الذي خلقه الله لك وميّزك به عن الكائنات. فابتسمْ ودعْ خطاباتك إلى ما بعد الظهر. للحديث عن قهر السياسة والعمل والأولاد والأسعار. لَلتذمر المنزليّ، للحديث عن سعر الدولار، لتتفلسف عن الهدنة وجدواها، تنعم بهذا الصباح الملائكيّ. وابدأ نهارك بإشراقة الابتسامة، والتفت ذات اليمين واليسار، وقل: صباحكم خير.

● مفتاح السعادة هو اليقين أنها شيء غير الأحداث التي تأتي بومضة الفرح وشهقته المدوية. فتلك لحظات محبّبة لكنّها عابرة. بينما السعادة شعور مقيم دائم مثلث الأبعاد. شعور بالرضا، شعور بالسكينة، شعور بالسيطرة على الأمور. هل أنت راض عن إدارتك حياتك وليس عنها؟ هل أنت في قلق ممّا يخيف أم في حال شعور بالأمان والثقة بمحيط وغد آمنين؟ هل أنت خائف ومتوتر من مفاجآت سيّئة أم تشعر بيقين أن ما سيأتي من مفاجآت لا يجلب إلا الأفضل أو لن يجلب الأسوأ؟ إذا كانت أجوبتك بالرضا والسكينة والسيطرة على الأمور، فتعلّم أن تجعلها شعوراً بالسعادة. وإذا كان جوابك مرتبكاً وضعيفاً، فخذ سؤالك إلى النهاية. هل ثمة ما تتوقعه أسوأ من الموت؟ وهل الموت مفاجأة متوقعة في أيّ لحظة؟ إذاً، ما دام الموت هو الأسوأ وهو وارد في كلّ حين وما سيحدث أقلّ منه سوءاً، فافرح وكن سعيداً بما لديك من وقت قبل أن يداهمك. وقاتل بابتسامتك الأحزان واشهرْها سلاحاً في وجه الآتي. الفرح بعضٌ من نهر في داخلنا، فلماذا نغلق في وجهه المنافذ بالغرور والطمع والتذمّر والنقّ والسوداوية؟

● إذا أردت أن تعلم هل أنت في حالة حبّ، تساءل هل هناك من لا يكتمل صباحك من دون تفقّد أحواله؟ وهل تشعر بابتسامة داخلية عندما تسمع اسمه مقروناً بخبر طيّب؟ وبتوتر وغضب إذا مسّه سوء؟ وبرغبة بالصراخ والمناداة باسمه في ليل غابة عميقة لا يسمعك فيها أحد؟ إذاً، أنت في حالة حبّ. فهل تحوّلت الأغنيات التي تسمعها مصدر قياس على حالتك معه بلا انتباه؟ وهل تقارن ما تقرأه عن الحبّ بخياله في ذاكرتك من دون أن تشعر؟ وهل تشعر أنك بحاجة إلى اهتمامه أكثر إلى حدّ تفلّت الغضب منك نحوه وأنت تريده شوقاً يصل؟ إذاً، فأنت عاشق. ابتسم، فتلك نعمة إلهية اغتنمها ولا تضيّعها في متاهات العتاب التي تعبّر عن شوق تاهت عليه الطريق.

● أحببت مبادرة «مواطنون ومواطنات في دولة» بقيادة شربل نحاس، وشجاعة «بيروت مدينتي» وانطلاقتها وأناقتها. وبقي لديّ سؤال لأركان المبادرتين القائمتين على شعار «كلكن يعني كلكن»، الذي يتحدّث عن السياسة ككلّ فاسد، ويدعو بعضه مثل «بيروت مدينتي» إلى اللاسياسة، وبعضه مثل الوزير نحاس ورفاقه إلى سياسة جديدة. سؤالي أنا وبيروت مدينتي، كيف سأحميها إذا تعرّضت للعدوان؟ وهل مدنيّة مدينتي بنظر اللائحة التي تحمل اسمها، تستدعي رفع شعار لا للسلاح؟ ولـ«المواطنين والمواطنات في دولة» هل لديكم رؤيا لاستراتيجية دفاعية لهذه الدولة؟ وجوابي الافتراضي أن الإثنين يعلمان أن لا بديل عن المقاومة، لكنهما يخفيان ذلك تجنّباً لخسائر داخلية وخارجية. فهل هذا هو الجديد الواعد الشجاع الذي لا يخشى أحداً ولا يريد مصلحة ولا يعرف السياسة إلا قول الحق؟ أم هم أيضاً يمارسون السياسة على طريقة من يسمّونهم بـ«كلكن يعني كلكن»، وهم بالتالي جزء من هذه الـ«كلكن»؟

● لا يحتاج الياسمين إلى كتابة لافتة جنبه تقول: هنا دكان عطر. كما لا يحتاج النبع الصافي إلى كتابة إعلان: هنا الماء للجميع بلا مقابل. لكن يجب وضع تحذير قرب الماء الآسنة أنها غير صالحة للشرب، كما يضع البعض أمام سور حديقته أو مدخل منزله «أملاك خاصة» أو «باب كاراج». الأشياء الجميلة تتحدّث عن نفسها والأشياء المؤذية وكل الأشياء المقيدة للحرية والإباحة التي تبقى أساس الخلق والطبيعة والقانون تحتاج إلى إعلان وتوضيح. تعرّفوا إلى أعمالكم وإتقانها وصحتها ودرجة الخير فيها من السؤال عما إذا كانت تحتاج توضيحاً أم تكتفي بذاتها للتحدّث عن نفسها.

● إذا كان الوطن عصيّاً على التحديد بالجغرافيا وفقاً لخطوط الطبيعة وحدها، أو اللغة وحدها، أو الدين وحده، أو التاريخ وحده، وما يصحّ بأوطان لا ينطبق على سواها، فيصير هو بعرف العلم التعاقد الطوعيّ الجمعيّ بقوّة عناصر الطبيعة والتاريخ والجغرافيا على رموز جامعة بين المنتسبين إلى جماعة بشرية تقيم في حيّز جغرافي فتصير الآثار والأوابد التاريخية والعلم والنشيد الوطني وسواها من الرموز حديثة الولادة، عوامل محدّدة للهوية الجامعة المسمّاة بالوطن. فإن كل العلاقات تحيا وتموت بمقدار كثافة الرموز المشتركة التي تنشأ بتعاقد طوعيّ بين أطرافها على السير معاً. فهكذا الحبّ والصداقة والزمالة والجيرة أنواع من تعاقد طوعيّ لأوطان صغيرة برموز من نوع آخر، وكل علاقة عمر رموزها قصير وكثافتها بلا عمق وطبقات متعدّدة إلى زوال قريب. يقول الحبيب لحبيبته وبالعكس أنت وطني، عندما يتشاطران رموز الوطن الأكبر بالحرارة ذاتها، وإلا تعقدت مسيرة صناعة رموزهما المشتركة، وصار الحبّ صناعة أو نزوة. وعندما يتشاطران رموز الوطن الأكبر الذي قد يصير الكون الإنساني الفسيح يتشاطران وطناً أصغر فأصغر، وتتعدّد بينهما الأوطان فيصير أحدهما بصدق وطن الآخر. صباح أوطانكم التي تحيا.

● تكتشفون أن السؤال الدائم للبشرية وأجيالها وتعدد أوطانها وأجناسها وأديانها هو من نحن. وستكتشفون لدى التدقيق أنّ النحن والأنا تتغير عند السائل مرات مع الزمان والمكان .وتكتشفون أن الناس بلا أفعال بلا تعريف. فالفعل هو الذي يعرفكم، وبلا فعل تعرفكم الفرضيات التي لا يد لكم في الانتساب إليها لأنكم أشياء بلا ذات تعرفكم. وكلما زادت أفعال الناس توضحت صفاتهم وقلّ الاجتهاد في تحديد هويتهم، لا بل قلّ أيضاً تهاونهم في النظر إلى هويات الآخرين. عندها وقل نقدها لمن يحملون هويتها ومن لا يحملون لأن أهل الأفعال ينتقدون على قدر أفعالهم. فهي لا تمنحهم قوة للنقد بل تقدير لحجم ضعفهم فيقدرون قيمة أفعال الغير خلافاً للمتكاسلين القاعدين «البلا أفعال» والمتعيّشين على هوية صنعتها أفعال غيرهم، وأضعفها نقدهم. أما أهل الفعل، فنقدهم بناء لأنه ابن الأفعال ولأنهم يعلمون أن أفعالهم متواضعة. فنقدهم متواضع وخجول طالما هو نقد لأفعال لا لهويات. أما البلا أفعال، فنقدهم للهويات ليس لأنهم أهل فلسفة، بل لأنهم بلا أفعال. ميّزوا نقد الأفعال عن نقد الهويات، تميّزون المتفلسفين عن البنّائين. وميّزوا في نقد الأفعال أهل الرحمة عن المبالغين تعرفون أهل الفعل من أهل الكسل والمزايدة. وانظروا إلى داخلكم بنور الرحمة على أفعال الغير وبعين النقد على أفعالكم، وتمعّنوا بتواضعها قبل تسليط ألسنتكم على أفعال غيركم، تبدأون صباحاً جميلاً.

إلى رجل

من يوم ما غادرت
بَيتك الدافي
بالشارع المهجور
بالشارع الحافي
مشيتو وأنا المقهور
والدمع عَ شفافي
ما أصعبه هالوقت
قالوا الزمن شافي
يا ربّي شو توجّعت
جرح لنا عافي
من يوم ما غادرت
بيتك الدافي
ورق الشجر طاير
على الرصيف ارتمى
قلبي ارتجف حاير
ينده لأبعد سما
يا ربّي شو صاير
نيران بقلبي شعّلا
على الوفا دايِر
جبين الوفا قبّلا
قلبك غصن صاير
أزهار عمري حمّلا
بإيديك الحرايِر
جدايل شعري جدّلا
ما بدي أنا غادر
زرعني جنابن حلا
من يوم ما غادرت
بيتك الدافي
إنت بابك سكّرت
وأنا بدربي مشيت
بتعرف بشو فكّرت
أنو عَ غيري لفيت
يا ربّي شو دوّرت
عَ بيت غير البيت
تخيّل إني فشلت
متلك أنا ما لقيت
من يوم ما غادرت
بيتك الدافي

توما عبّاس

أنا وأنت

بداياتنا انتهاء. أحاديثنا كلّها انتقاد وشجار. كانت جدران عزّتنا سميكة، فلا جَمَعنا سقف مشترك ولا آمال. بصمت وحيد مارسنا زوالنا من دون عناء. دروب العالم كثيرة فاخترنا عدم اللقاء. سعيتُ في غربتك لمجد وثراء. ورتبتُ هنا حياة هادئة بكل انتقاء. سنون طويلة مرّت كنتَ فيها دائماً على البال، لكَ الصدارة في الحنين أوّل الصباح وآخر المساء. اليوم نلتقي كل شيء بالانتظار، أعليَّ قول كلمات هنيّة وانتظار الإطراء؟ ترقّب، شموع، أزهار وموسيقىً تملأ المكان، وكعادتنا فعلناها مجدّداً. خرجت معركة الإياب مكلّلة بالنجاح. ثمن باهظ يدفعه الإنسان لحياة مليئة بالغرباء. لا أنت ركعت حبّاً، ولا أنا أخبرتك عن ألم الاشتياق. كم هي خيانة الاصرار على الإخلاص لجلاد!

رانيا الصوص

ورد وشوك

دخلت محرابها وانصرفت لصلاتها، تناجي الإله متضرّعة أن يكشف الضرر الذي ألمّ بالعباد. قهر الرجال وأدمى قلوب الأمهات ودبّ الرعب في نفوس الأطفال، سرق طفولتهم، فرّق الأهل والأحباب. فتح الباب مشرّعاً أمام الأغراب، يعيثون فساداً في البلاد، فطفت على السطح شريحة من الغربان تتقن فنّ التخريب والتدمير وتُحسن سرقة اللقمة من الأفواه، مدّعية الوطنية والكمال وصدق الانتماء. كلّ همّهم الحصول على أضخم الثروات ولو على جثث الأبرياء.

واقع أليم لا كاشف له سواك. هنا، وصلها إحساس أن الرجاء لا بدّ مستجاب، فهو من قال «إذ ناداه ربّه نداء خفيّاً». فهي على يقين أنّ همسة التضرّع تهزّ أبواب السماء، ولا بدّ للهمّ أن ينجلي.

رشا مارديني

رياضيات في الكلام

● الزهد فسلفة حياة قوامها الاكتفاء والمثابرة والانتماء والكرامة، لا الاستهتار والفردية والكسل. وأهل الزهد قادة بلا مناصب.

● الحزن غير الكآبة والإحباط واليأس. فالحزن بعض سعادة، والدمع نهر السعادة من حزن وفرح.

● يسارع الناس للإخبار عن أمور يخشون سوء الظنّ بها، ويكتمون أموراً لثقتهم بعدم الظنّ بها. وينسون أن الحقيقة تختبئ في توازن حرارة القول مع أهميته.

نقطة عَ السطر

ـ شو أحبّ مادة عَ قلبك؟

ـ بالزمان لو سألتني، كنت رح جاوبك إنّي بحبّ التاريخ. بس هلّق صرت ضدّ التاريخ، بحسبان ما ستقرأه الأجيال القادمة. عن تاريخ لا يشرّف العرب. لذلك، صرت حالياً بفضّل الرياضيات. الرياضيات تشرح علاقتك بالحياة وبالأشخاص.

ـ كيف يعني؟

ـ يعني، علّمتني الرياضيات إنه السالب بعد السالب يعني موجب. فلا تيأس. المصيبة بعد المصيبة بتعني الفرج. وإنه الانتقال من جهة إلى أخرى سيغيّر من قيمتي، وإنه متى ما كبر المقام صغر كل شي! وإنه بعض الكسور لا تجبَّر! وإنه يمكننا الوصول لنتيجة صحيحة بأكثر من طريقة. فلا تظنّ وحدك صاحب الحقيقة، وإنه كل من خالفك مخطئ!

علّمتني الرياضيات إنه لكل مجهول قيمة. فلا تحتقر أحداً لا تعرفه. وإنه هناك مفهوم اسمه ما لانهاية، فلا تكون محدود الفكر والطموح.

علّمتني الرياضيات إنه العدد السالب كلما كبرت أرقامه كلما صغرت قيمته، كالمتعالين عالناس، كلما ازدادوا تعالياً صغروا في عيون غيرهم.

وإنه لكل متغيّر قيمة تؤدّي إلى نتيجة. فاختر متغيراتك جيداً لتصل إلى نتيجة ترضيك. إفهم هذه الرياضيات كي تغيّر يومك الذي سيصبح ذات يوم... تاريخاً!

ونقطة عَ السطر!

منى عبد الكريم

حديث زبيدة

شكراً روسيا شكراً روسيا؟ أم خيبة أمل وهدنة؟

اليوم، لا بدّ أن نضع بعضاً من أحزاننا وبعضاً من خيبة الأمل على جنب. ونتذكر أنّ الأصدقاء الروس حين جاؤوا لمساعدتنا، كنّا بأمسّ الحاجة إليهم، ولم يخذلونا عندما طلبنا منهم ذلك. وقدّموا لنا يد العون ودعمونا في لحظة تاريخية شديدة الحساسية و الخطورة. ولولا التدخّل الروسي في اللحظة المناسبة، كان يمكن أن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

لو نسينا ما قدّمته روسيا لنا من أجل الدفاع عن بلدنا في لحظات تخلّى عنّا الجميع، حتى جيراننا وأهلنا، ولم يقدّم لنا العالم سوى المسلّحين والإرهاب والدمار. لو نسينا تضحيات أصدقائنا وتذكّرنا فقط أن كلّ الأمور لم تجرِ بحسب إرادتنا و طموحنا، نكون لا نستحقّ هذه الصداقة ولا هذا الدعم.

لذلك، ورغم أمور كثيرة لم نفهمها، ورغم حيرتنا ومشاعرنا، لا بدّ اليوم أن نقدّم تحية حبّ من أعماق القلب إلى الشعب الروسي العظيم، صاحب التاريخ العريق والحضارة المتجدّدة عبر العصور.

زبيدة القادري

إدارة الأمنيات

يهفو قلبك لعودة وطنك سالماً معافى. تحترق لمساعدته بأيّ مبادرة قد تعيده على الأقل إلى سابق عهده. لكن، لماذا يصيبك الفتور في منتصف طريقك؟ هل قادتك الظروف إلى محطات لم تكن كأمنياتك؟

ماذا لو خوّل إليك العمل قبطاناً لقيادة إحدى السفن التي تنجو بوطنك؟ هل ستكون قادراً على نقل بضاعته بين البلدان وتربح تجارتك؟ ما الذي تعرفه عن الموانئ؟ عن وجهتك واتجاهك؟ أتعلم من هم ومن أين القراصنة سينقضّون عليك؟ ماذا عن الأجواء البحرية ودلالاتها والعواصف التي ستداهمك؟ كيف ستتعامل معها وتتصرّف أثناء ذلك؟ ماذا عن إدارتك بحّارتك؟ وماذا لو فقدت بهم اتصالك؟

إن اقتربت مع الوقت من هدفك، فهنيئاً لك، فقد نجحت لأنك بدأت وعينك على هدفك... «وطنك»!

ريم شيخ حمدان

من عشق الصباح

هل حالك كحالي مشغول بالحنين. كلماتك مشغوفة بالحبّ. «بعدك»، كلّ جهات الحزن تطالعني. يمّمت وجهي إليك وحدك الآتي من الضوء مطراً على شرفة البحر. ينسكب العطر كشلال على صباحات العشق. تشتعل الأسئلة الحائرة. البحر بأبجدية الملح والماء، يكتب حكايات المواكب التي تنفرش لها سفوح الزيتون ويعبق البخور مهابة لتجلي التضحية والفداء. وأيّ فداء؟ تلك حكايات الزيتون والليمون والتين ومساكب التبغ والطيّون. لم تزل تراتيلك صحوة الفجر وشمس النهار، لتختصر الزمن في رؤياك. سيبقى هنا على كتف البحر للبوح جدلية القهوة وعطر الحبق والياسمين!

حسن ابراهيم الناصر

ارحل عنّي

منذ عرفتك حتى الآن، لم تستطع التخلّص من أصغر الأشياء التي تؤلمني. مع أنني نهيتك عنها مراراً وتكراراً، ودائماً تعيد الكرّة. فكيف الحال بالأمور الكبيرة إذن؟

أنا يا سيّدي، أبحث معك للخروج من ظلمة الوجع. أحتاج إليك لأكفّ عن القهر والدمع. لا أقبل اللامبالاة في سلوكياتك. ولا أريد سماع الأعذار ذاتها بخصوصياتك. كن في حياتي كما يجب أن تكون، أو ارحل عنّي بعيداً. سئمت الانتظار، سئمت هذا الواقع والقدر الملعون. لم يعد يحتمل عقلي انتظاراً وجنوناً.

عبير فضّة

قالت له

قالت له: أيمكن أن يكون هناك حبّ كاذب، كما هناك حمل كاذب؟

فقال لها: الشبه بين الحمل والحبّ وارد. فكلاهما يُعرف بأعراضه، وكلاهما يكشفه الزمن. ولكن الفوارق بينهما كثيرة. فالحمل الكاذب أساسه حالة نفسية من قلق أو رغبة. بينما الحبّ الكاذب أساسه اختلاط بقياس الأعراض بين الحبّ والإعجاب، أو الحبّ والاحترام، أو الحبّ والحاجة. ولا يكشف الزمن صدق الحالة بزمن محدّد، بل بزمن الحالة وزوال أسبابها. فحبّ المصلحة والحاجة كاذب يحيا ما دامت حيّة. وحبّ الاحترام يبقى ما بقي، ولذلك لا يكشف الحبّ الكاذب إلا اصطدام بعقبة تضعه أمام امتحان أو ظهور الحبّ الحقيقي، أو حبّ كاذب آخر أعلى مرتبة. وأحياناً يبقى الحبّ الكاذب حيّاً لأنّ الاختلاط في الأسباب لم يتوقف بفعل الزمن، بل ربما مع الزمن يصير حبّاً حقيقياً، أو يصير أجمل من حبّ أفقده الزمن بعضاً كثيراً من حرارته.

فقالت: أليست الغيرة مقياساً بين الحبّ الحقيقي والحبّ الكاذب، فتكون هي جنين الحبّ بغيابها يصير كاذباً؟

فقال لها: الغيرة شيء لا يرتبط إلا ظاهراً بالحبّ، والاصرار على ربطه كعلامة استقواء للغيرة بقوّة الحبّ لاكتساب بعض من مشروعيته، لتصير لها شرعية. لأن الغيرة بعض من رغبة تملّك، وبعض من دفاع عن النفس في وجه سؤال هل لآخر أو لأخرى التفوّق على ما عندي، حتى تتبدل وجهة اهتمام الحبيب أو الحبيبة؟

فقالت: وهل يضير الحبّ إن قلنا إنه تملّك ودفاع عن النفس ما دامت الغيرة كذلك؟ ألا نحب لنملك ولأننا بالحبّ أقوى؟

فقال: الحبّ فعل مجانيّ بلا مقابل، حتى التبادل ليس شرطه. فنحن نحبّ ولا ننتظر ولا نطلب. وعندما نعاتب نفعل ذلك لنفتح عين الحبيب ليقارن ويعلم كم نحتمل ولا يحتمل، وكم نهتم ولا يهتم.

فقالت: وإن تساوى الحبيبان في الغيرة أو المجانية، ألا يصير الحبّ ناراً لا تحتمَل، أو صقيعاً لا يطاق؟

فصمت قليلاً ثمّ قال: ربما بهذه ربحت الجولة، وصارت لك حجّة لما أنت وتفسير لما أنا.

فقالت: إذاً، هات هاتفك لأرى!

فتبسّم، ودسّ هاتفه في جيبه، ومضيا يشبكان الأيدي ويبتسمان.